Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البيان والتحليل

لقد جاء بيان ما طلبه أحد الخصوم، من الرفق فيه أو وصفه عنه فى رواية ابن حبان: دخلت امرأة على النبى ﷺ فقالت: إنى ابتعت أنا وابنى من فلان تمرا فأحصيناه، لا والذى بعثك بالحق ما أحصينا منه إلا ما نأكله فى بطوننا أو نطعمه مسكينا، وجئنا نستوضعه ما نقصنا... الحديث. وقال الحافظ ابن حجر: ولم أقف على تسميه واحد منهم... وهذا الحديث يشير إلى استحباب الرفق بالغريم، والإحسان إليه، كما أنه أيضا يحذر من الحلف على ترك فعل الخير.

قال الداودى: إنما كره ذلك؛ لكونه حلف على ترك أمر عسى أن يكون قدر الله وقوعه.

ولكن لنا أن نتساءل: إذا كان الحديث الذى معنا قد أنكر الحلف على ترك المعروف، فلم لم ينكر الرسول ﷺ على الأعرابى الذى حلف على ترك الزيادة على فرائض الإسلام حين قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال له الرسول ﷺ: أفلح إن صدق، ولم ينكر عليه حلفه مع أنه حلف على ترك الزيادة وهى لاشك من فعل المعروف والخير؟.

وللإجابة على ذلك، نقول: إن هذا الأعرابى يختلف حاله عن حال الخصوم الذين معنا، فهؤلاء الخصوم قد تمكنوا فى الإسلام، ورسخت أقدامهم على طريقه فليسوا فى حاجة إلى استمالة أو تأليف بخلاف هذا الأعرابى فإنه كان فى حال تستدعى الاستمالة والتأليف والترغيب فى مبادئ الإسلام وعباداته، فالمقام بالنسبة له مقام الدعوة إلى الإسلام ومثل هذا المقام لابد فيه من الحرص على ترك التحريض بالنسبة لما فيه نوع مشقة.

والحديث يحث على الرفق بالمدين بصورة تجمع بين حسن المعاملة ودقة العدالة مع توجيه الذى يتألى بأنه إنما يحلف على عدم فعل المعروف: أين المتألى على الله لا يفعل المعروف؟ إن التجاوز عن هذا المدين أو الرفق به معروف، وصنائع المعروف لها منزلتها وفضلها، ولها أهميتها ونتيجتها، وفيما رواه مسلم عن ربعى بن حراش أن حذيفة حدثهم قال: قال رسول الله ﷺ: تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر، قال: قال الله عز وجل: تجوزوا عنه. وفى رواية: كنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسور، ومعنى التجاوز: المسامحة فى الاقتضاء والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير. وفيما رواه مسلم أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: كان رجل يداين فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه.